الشعر النسائي

زهرة بنفسج

للدكتور تولا افندي فياض

اهوى البنفسج آية الزهر ... في الشكل والتصوير والعطر
واحبه في الارض مختبئاً ... واحبه في بارز الصدر
ولكل عذراء اقدمه ... ما دام فيه حياؤه العذري
لكن شجاني منه حادثة ... اجرت دموع عرائس الشعر
في زهرة بجوار سافية ... نبتت وعاشت عيشة الطهر
لم تدر غير العشب متكأ ... وسوى عناق الماء لم تدر
فاستيقظت يوماً كأن بها ... سكراً وقد شربت ندى الفجر
تبكي جوىً وتقول « ما املي ... لو عشتُ خالدةً بذا الفقر
حسناء لكن لا عيون ترى ... حسني ولا من عارف قدري
هلاَّ صعدت الى ذرى جبلٍ ... و بدتُ هذا الكوخ بالقصر
فارى الجديد من الوجود وما ... نحوي معاني الكون من سحر
واشارف الدنيا واجعلها ... تطوي مناظرها عَلَى نشري »
قالت وقام بها الهوى فمشت ... في النفر مثل ظبائه الغفر
والريح تحملها وتقعدها ... وتموج بين الشعر والخصر
حتى اذا صعدتْ وما ابتعدتْ ... وقفت تجيل الطرف عن كبر
فرأت بساط العشب منتشراً ... تلوي عليه معاطف النهر
جاراتها في الحي نائمة ... حمراً عَلَى اعلامها الخضر
فاستبشرت بالفوز وانطلقت ... تعدو ولا تلوي عَلَى امر
وحلا لها السفر البعيد وما ... حسبت حساب الحلو والمرّ
الارض موعرةٌ ومحرفةٌ ... فكأنها تمشي عَلَى جمر
ورفيقها هوج الرياح وقد ... ثارت عليها ثورة الغدر
تري بها كل الجهات فلا ... ترتاح من كرٍ الى فرّ

حتى اصابت هضبةً فاذا فيها نعيم الدين والفكر
من تحتها الجنات مشرقةٌ بالزَّهر كالافلاك بالزُّهر
والناس والاشياء مائجةٌ كالبحر في مدٍّ وفي جزر
قالت « بدأتُ ارى فواطربي لو كنت ابلغ موطىء النسر
اعلو الى قمم تحجبها تلك الغيوم بحالك السِّتر
فارى بديع الكون تحت يدي وافضُّ منه غامض السرِّ »
يا للبنفسجة الجميلة من اهوال ما قاسته لو تدري
عزَّ السبيل الى مطالعها في مصعد الاشواك والوعر
واصاب ارجلها الضعيفة ما يمي الحديدَ الصلبَ بالكسر
فتأوَّهت ندماً ولو قدرت رجعت عَلَى اعقابها تجري
لكنها داخت وصيَّرها خوف السقوط كراكب البحر
فتشبثت بالارض مفرغةً جهد القوى وبقيَّة الصبر
حتى تسامت الذُّرى وغدت في الاوج لتلو آية الشكر
لكنها لم تلقَ والُسني في الاوج غير جلامد الصخر
لا عشب ينبت بين جوانبه ابداً ولا اثرٌ لمخضرّ
والعاصفات كأنها اسُدٌ والغيم ساوى في تلبُّده
في الجوّ تزأر ايما زأر ما بين نصف الليل والظهر
فجثت لاوَّل مرَّة وبكت كالطفل من تعب ومن ذُعر
والبرد افسد لونها كمداً من كلّ مزرقٍّ ومحمرّ
فاصفرَّ ذياك الجبين كما ذهبت نضارة ذلك الثغر
من قهرها انَّت وقد سمعت وسط الزوابع انَّة القهر:
« يا ليتني لم اصبُ نحو علىً وبقيت بين عرائس الزهر »
ثم ارتمت ضعفاً واخرسها شبح بدا من جانب القبر
وتصأبت اعصابها ومضت بالموت هاويةً الى القعر
مسكينةٌ قد غرَّها شرفٌ هو كالسراب لكل مغترّ
ظنت بان لها العلاء غنى فاذا به فقرٌ عَلَى فقر
ما كان اهناها واسعدها لو لم تفارق ضفة النهر